**تفسير الآيات من [97 – 102]**

**ثواب المهاجرين، وبعض أحكام قصر الصلاة**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *محمد سعد حسن*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***mohamad.saad@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى ثواب المهاجرين، وبعض أحكام قصر الصلاة**

**الكلمات المفتاحية – مهاجرا، الرغام، للمهاجرين**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة ثواب المهاجرين، وبعض أحكام قصر الصلاة**

* **.عنوان المقال**

**معنى: {ﯣ ﯤ ﯥ}:**

**أما المراغم: فهو من الرغام، والرغام هو التراب، والمعنى: أنه بخروجه هذا قد أرغم المشركين، والكافرين، والظالمين الذين كانوا يستضعفونه ويوقعون به ألوان البلاء، أجبر هؤلاء وأرغم أنوفهم حين خرج مهاجرًا لله وفي سبيله.**

**المراغم الذي يجده من خرج مهاجرًا في سبيل الله هو ما يكون للمهاجرين من تمكين في أرض الله التي رحلوا إليها، ومن عزة، ومن سيادة، ومن مكانة تجعل أعداء الله كأن أنوفهم قد مرّغت في التراب ذُلًّا؛ لما فاتهم من هذا الذي خرج، وأفلت منهم، ووصل إلى المكان الذي يستقيم فيه مع إخوانه على طريق الحق، يحملون راية الإيمان يجاهدون بها في سبيل الله، فهذا قد أرغم أنوفهم، وأذلّ كبرياءهم،**

**وقد وصف الله هذا المراغم بقوله: {ﯣ ﯤ} هذه الكثرة تعني: أن هذا الإذلال لهؤلاءِ لن يكون لحظةً عابرة في موقف من المواقف يمر وينتهي، إنما هذه لحظات متوالية دائمة،**

**ويأتي الوعدُ المكمِّلُ في قوله: {ﯥ} هكذا أتت نكرة لتفيدَ أن هذه السعةَ سعةٌ عظيمة، بمعنى: أن الله  قد وعد هذا المهاجِر أن يوسِّع اللهُ عليه في الرزق، وألّا يضيِّق عليه، وَوَعْدُ اللهِ لا يَتَخلّفُ، وقد حدثَ هذا -بحمد الله وفضله- وأنعمَ اللهُ على هؤلاءِ بالخير العميم، وفتح اللهُ بهم، ولهم البلادَ في كل مكان من أرض الله؛ فجاءهم الخيرُ من كلِّ مكان، ووسّع الله عليهم في أرزاقهم؛ فكان هذا تحقيقًا لوعد الله الذي لا يتخلّف في قوله: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} هذه السعة العظيمة مطلب من مطالب أهل الإيمان، ثم قال قولا آخر: {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ}.**

**ب. ثواب المهاجر، ومكانة النية في الأعمال:**

**الحالة الثانية من حالات من يهاجرون في سبيل الله: من نوى الهجرة، وأعد عدته وخرج لله، وفي سبيله، يريد أن يلحقَ برسول الله  وأصحابه في المدينة، فأدركه الموت قبل أن يصلَ إلى حبيبه ورسوله وإخوانه في هذه الأرض المباركة، يعبر الله  عن هذه المسألة فيقول: {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} والإسلام هنا يعتد بالنية اعتدادًا عظيمًا، ويوليها اهتمامًا كبيرًا؛ لأن النية هي مفترق الطريق في العمل، فمن نوى الخير كان له ما نوى، ومن نوى الشر كان له ما نوى.**

**هذه النية نراها فيما بين أيدينا من هذه الآية الكريمة، وتؤيدها الأحاديث الكثيرة، من ذلك: ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب > عن رسوله الله : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» يقول العلامة الحافظ ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث: وهذا عامّ في الهجرة وفي جميع الأعمال، ولنا أن نتوقفَ عند هذه العبارة الجليلة العظيمة: {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ}.**

**نجد قول الله تعالى: {ﯧ ﯨ} التعبير بالخروج يعني: أنه آثر أن يتركَ مكانه الذي هو فيه، وأن يرحلَ إلى مكان آخر، وبصدد ما نحن فيه: هو سيخرج من مكة إلى المدينة، لكن التعبير هنا لم يقل: بأنه من يخرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وإنما: من يخرج من بيته، ومعنى ذلك: أنه سيتحمل جهدًا ماديًّا، وجهدًا نفسيًّا ليصل إلى غايته، وهذا شأن من يبتغي عظائم الأمور وجلائلها، ويطلب ثواب الله  فهذا الذي خرج إنما يخرج من بيته، وبيته فيه الأمن والأمان والسلام، والأبناء والزوجة والمال، وما إلى ذلك، فهو مرتبط ببيته ماديًّا، كما أنه مرتبط به نفسيًّا، لكنه استطاع أن يخرج من بيته، أن يُفارقَه، وهو خرج مهاجرًا، كلمة: "المهاجر": الذي خرج في الهجير متحملًا حرارة الشمس، ومتحملًا آلام السفر، ومخاطرًا بنفسه، وهذا شأن الصادقين من أهل الإيمان، وفي مقدمتهم أنبياء الله ورسله؛ فهذا إبراهيم يقول: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [العنكبوت: 26] أو كما قال في سورة الصافات: {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} [الصافات: 99] فهؤلاء الأنبياء ذاهبون مهاجرون إلى ربهم.**

**ورسولنا  هو المهاجر العظيم الذي هاجر من مكة إلى المدينة، فضرب المثل الأعلى في التضحية والفداء .**

**{ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ} كان من الممكن أن يكون التعبير هكذا: ومن يهاجر إلى الله ورسوله ثم يمت، لكنه قال: {ﯰ ﯱ} يقول العلامة الألوسي -عليه رحمة الله-: في قوله: {ﯰ ﯱ} إشعار بمزيد الرضا من الله  وأن الموت كالهدية من الله  له؛ لأن الموت سبب للوصول إلى النعيم المقيم الذي لا يُنال إلا بالموت، وأيضًا في قوله: {ﯯ ﯰ ﯱ} لم يقل: وأدركه الموت، وإنما: {ﯯ} وهذا اللفظ من ألفاظ العطف يدل على الترتيب والتراخي، والتراخي وإن كان يمكن أن يكون عنوان مدة من الزمان كما هو الشأن في استعمال كلمة: "ثم" إلا أن التراخي هنا هو التراخي في المرتبة؛ لأنه خرج ينوي نيةً صادقة، فهو مهاجر وذاهب إلى الله ورسوله، ثم إن الموت أدركه فلحقه فمات، فإذن هذه المرتبة مرتبة عظيمة، وهي أعظم من الخروج، مَن يخرج ثم يدركه الموت، فلا شك أن مرتبة الخروج دون هذه المرتبة.**

**وأيضًا سوف نلحظ فيما أعدّ الله لمن فعل هذا وحدث له هذا، الله  قال: {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} وكان الظاهر أن يقول: ثم يدركه الموت فإن الله يثيبه، لكنه قال: {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} فهذا مؤذن بوقوع هذا الثواب وثبوته، وأن الأجرَ فيه عظيم لا يقادر قدره، ولا يكتنه كنهه؛ لأن الذي تعهدَ به هو رب العالمين  والعبارة -كما نرى- فيها ما فيها من المعاني؛ فقد جاءت مؤكدة بقوله: "قَدْ" التي تفيدُ تحقيق ما دخلت عليه، وبعد {ﯲ} يأتي الفعل: {ﯳ} وهو يعني: الثبات واللزوم، وهو لزومٌ من باب الفضل الإلهي؛ لأن الله  لا يجب عليه شيء، لكنه الكريم إذا وعد وفّى، وسمى الثواب: أجرًا.**

**وهذا الأجر وقع {ﯵ ﯶ} وكم في كلمة: {ﯵ} من المعاني الجليلة التي تدل على لزوم هذا الأجر على رب العزة والجلال، وهو -كما قلت- لزوم وعد من إله كريم وعد، فلا يخلف وعده، وجاء بلفظ الجلالة: {ﯶ} في قوله: {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} ليبين ما اتصف به من صفات الجلال والكمال، والتي بها أعطى العاملين أجرهم، ووفاهم جزاء ما عملوا، فسبحانه من إله كريم عظيم.**

**ختام الآية إذن يأتي: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ} يعني: كان الله وما زال غفورًا رحيمًا، وكأن في هذا الختام ما يطمئن هؤلاء الذين كانوا قد تخلفوا عن الهجرة في وقت مبكر، ولم يخرجوا مهاجرين إلى رسول الله  وربما اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لا يجدون حيلة، ولا يهتدون سبيلا، لكن تقدير هذا الأمر قد يتدخل فيه هوى النفس، ويتدخل فيه وساوس الشياطين؛ فيبقى الإنسان محرومًا من صحبة رسول الله  فترة من الزمان؛ فإذن حدث من هذا الذي هبّ مهاجرًا، وذهب في طريقه إلى رسول الله  حدث منه تقصير في وقت من الأوقات؛ ومن هنا جاءت هذه الكلمات كأنها البلسم الذي يداوي جراحه، ويقول له: بأن ما مضى من عمرك أضعته دون أن تحظى بصحبة رسول الله  وبقيت بين ظهراني المشركين هذه الأيام وما حدث فيها، وما كان منك من قصور وتقصير، اعلم أن الله هو الغفور الرحيم، غفر لك ما مضى ورحمك؛ إذ وفقك وأكرمك، وأيقظك وهداك، وبعثك من مرقدك، ومن غفلتك، ومن سهوك، فجعلك تهب لتستعد للسفر والخروج من بيتك، تاركًا دارك وأهلك وبلدك، تقطع المسافات في الليل والنهار حتى تصل إلى رسول الله  فأنت إذن في ظلال رحمات الله، وأنت ممن غفر الله له: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ}.**

**يقول العلامة ابن كثير: فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج، رحيمًا مبالغًا في الرحمة؛ فيرحمه سبحانه بإكمال ثواب هجرته ونيته.**

**ج. أحكام قصر الصلاة:**

**بعد أن رغب  في الجهاد والهجرة أراد أن يذكر لنا أمرًا مهمًّا: ذلكم أن الذي يجاهد ويهاجر ينتقل من مكان إلى مكان؛ فكيف يصلي؟ والمجاهدون إذا ما وصلوا إلى أرض المعركة، وحدث بينهم وبين عدوهم قتال كيف يؤدون صلاتهم؟ ومعنى ذلك: أن الصلاة من الأمور المهمة التي لا تَسقُط عن المسلم بحال من الأحوال، إلا إذا كان لا يستطيع ذلك لغياب عقله، أو لأمر خارج عن إرادته، وفي غير ذلك لا بد أن يؤدي الصلاة في حال الأمن والخوف، والسلم والحرب؛ ولهذا عطف ذلك على ما سبق فقال: {ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ} [النساء: 101] والآية التي تليها والتي بعدها.**

**قوله: {ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ}:**

**الضرب في الأرض معناه: السفر، وسُمي السفر ضربًا في الأرض؛ لأن المسافر يضرب الأرض بقدميه، أو ما إلى ذلك، وليس المقصود مجرد السفر في الأرض، وإنما السفر بأي وسيلة، وفي أي موضع، فمن سافر في الأرض، أو في الجوّ، أو في البحر -فهذا يقال عنه بأنه يضرب في الأرض، وكما قال تعالى: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ} [المزمل: 20] {ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ} الجناح: هو الحرج، أي: ليس عليكم حرج أن تقصروا من الصلاة: {ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ} أي: أن تُقَصِّروها، أو أن تجعلوها قاصرة، وسوف نعرف معنى هذا القصر ومعنى هذا التقصير.**

**{ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ} بمعنى: أننا إذا خفنا الذين كفروا أن يعتدوا على المسلمين في أثناء الصلاة: {ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ} أي: عدوًّا ظاهرًا بيّن العداوة.**

**وفي سبب النزول يُروى عن أبي أيوب عن علي # قال: «سأل قوم من التجار رسول الله  فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله تعالى: {ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ} ثم انقطع الوحي فلمّا كان بعد ذلك بحول غزا النبي  فصلى الظهر؛ فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم! فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين: {ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ} إلى قوله: {ﮑ ﮒ} [النساء: 102] فنزلت صلاة الخوف».**

**فماذا من الأحكام الشرعية في هذه الآية الكريمة؟ قَصْرُ الصلاة في السفر هل هو رخصة، أو لا بد للمسافر أن يقصر؟:**

**مذهبان:**

**المذهب الأول: أن القصر رخصة؛ فإن شاء المسلم قصر، وإن شاء أتم، وهو مذهب الإمام الشافعي وأحمد.**

**المذهب الثاني: أن القصر واجب، وأن الركعتين هما تمام صلاة المسافر، وهو مذهب أبي حنيفة -رحمه الله.**

**وقال الإمام مالك: إن أتم في السفر يعيد ما دام في الوقت، والقصر عنده سنة، وليس واجبًا.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**